

نظرية المعنى في الدلالة التأويلية

أ. عبد القدر البار

أين يوجدُ المعنى؟ هل يوجد في أذهان البشر، أم في العالم المشترك بين المتكلمين؟ وهل يمكن للمعنى أن يكون خارج المكونات التي تسهم في البناء اللغوي؟ هو سؤال مركزي والإجابة عنه تقتضي أن نضع في أذهاننا جملة من التصورات، فالأديب - مثلا - يختزن لغة محكومة بقوانين لا يمكن للفلكي أن يفهم أبعادها، لأنها لا تصف عالمه وحتى يتم التجاذب بين الأديب، والعالم الذي يصفه، ينبغي كذلك تأسيس علاقة خاصة تجمع بينهما، وهي العلاقة التي تقوم أساسا على ما يعرف بالإدراك لأن المعنى يخضع لما ندرکه حسب ما تذهب إليه كل النظريات الفلسفية واللسانية وحتى التبولوجية.

يقول هيرش Hirsch: *إن هناك معنى يقصده المتكلم، وهذا المعنى هو المعنى الصحيح الذي ينبغي أن نسنده إلى الحمل. ومعنى هذا أن المعنى إنتاج وليس تأويلا، أو فنما¹*

يتجادر للقارئ الحصيف لهذه المقولة أن هيرش قد ركز في تصورهِ للعنى على المتكلم وحده، وأغفل العالم الخارجي، وهذا ما يذهب إليه النحو التوليدي في مقارب □□ سؤال طبيعة المعنى في اللغة القائمة أساسا على تيار الـأقارية النفسفة البيوتكز على دم قيام علاقة هوية مباشرة بـالمتكلم والعنلم الخارجي ف بناء المعاني، وهذا ما يفسر نظرة النحو الأويائي إلى اللسانيات باعتبارنا جزاء من علم النفس من العلوم الطغغعية.

وفي هذا الصدد يقول هيرش: *إن من قتكلم لغة بعينها يكون ممتلكا لنظام من المعرفة ممثلا بطريقة ما في ذهنه، ومن هنا يكون لهذا النظام صورة مادية في دماغه. ولهذا تحدد اللسانيات التوليديية برنامج عملها في: ما نظام المعرفة الذي يقوم عليه اللغة؟ وكيف نشأ نظام المعرفة في ذهن؟²*

يفهم من كلام تشو مسكي انه حاول أن يعين المعنى بتمثيل ذهني دال داخليا يرتبط بالشكل المنطقي للجملة، وهذا الشكل مرتبط بالصورة التركيبية التي تأتي عليها الجملة، فأصل المعنى هو البنية الذهنية لمتكلم اللغة، ولذلك كان طرح تشو مسكي نفسيا معرفيا.

دلالة الأطر والفهم الموحد: نشير في البداية إلى أق اليد فلمعرفي في الφϱالافة التصوري يحاول تفسير سيرورات الإدراك البشري وعاقته بالسلوϱالC III، على نظريات علم النفس الجريي وأمعرفي بحيث تكون البنية الϱالالية عقد البشر قـة وثرية تفك ترميز كل ما يمكن أن تعبر عنه الφغة إذ الأمϱي قبط بكيفية فعالة البشر للعالم ورؤيتهم إياه.

ومثل هذا الكلام نجده عند أندريه مارييتي في تعريفه للغة: "اللغة أداة للتواصل بواسطتها يتم معالجة التجارب الإنسانية لدى كل مجموعة بشرية بطريقة مختلفة"³

من خلال هذا التعريف تظهر التجارب الإنسانية متنوعة ففي بعض القبائل الإفريقية لا يميزون بين اللون الأزرق و اللون الأخضر فهما يحملان تسمية واحدة و ندا يعود بطبيعة الحال إلى تعاملهم الخاϱمع الألوان، و الشيء نفسه ينسحب على كان الاسكيمو في تسميتهم للثلج فتراهم يطلقون ألفاظا مختلفة- لما نعتبره نحن ثلجا- . ذلك بحسب حالات سقوط الثلج و مراحه.

ومن هنا يتمحور البعد المعرفي فلفسي بدءا فإما يصطلح عليه بدلالة للأطر.

يقول فيلمر إن النظرية الدلالية هي الϱكل شئ نظرية للمداخل المعجمية، فهϱتسعى بواسطتها إلى حديد طبيعة المعلومات الموجودة في هذه المدائل وكيفية وجودها وسببه. وتعتدل دلال الأطر في تحديد هذه المدائل (ورصد معانيها) على أطر عامة تتجانس فيها مختلف النماذج المعرفية البشرية، هذه الأطر تخصص فهما موحدًا ومؤمثلا (Idealized) لمجال من مجالات التجربة"⁴.

وتعديدا لما ذهب إليه نأخذ فعل سمع.

سمع المدخل المعجمي التقاط صوت بواسطة الأذن من دون قصد ونركز هنا على الالتقاط غير القصدي لأنه يميز هذا المدخل من مدخل آخر يعتمد على الالتقاط القصدي للأصوات "كأنصت" مثلا والمدخلان ينتميان كلاهما إلى حقل الإدراك السمعي.

ويعزز هذا الكلام ما تذهب إليه النظريات الدلالية عموما ونظرية الحقول الدلالية على وجه التحديد يقول أحمد مختار عمر: " الحقول الدلالية أو الحقل المعجمي هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها مثال ذلك؛ كلمات الألوان في اللغة العربية فهي تقع تحت المصطلح العام(اللون) وتضم ألفاظا متنوعة أحمر-أزرق-أخضر-أبيض...ومبادئها أن لا واحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين، ولا أخرى عضو في أكثر من حقل، كما لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة، واستحالة دراسة المفردات المستقلة عن تركيبها النحوي"⁵

وإجمالا يمكن أن نقول بأن النظرية الدلالية تبنى وفق تصميم المداخل وعلاقتها داخل معجم اللغة، إذ تعتمد دلالة الأطر على العلاقات الدلالية التي تربط بين الألفاظ داخل حقول دلالية فهي إذا تصف جانب معين من السلوك البشري يختلف عن جانب آخر يختص بحقل جديد، بل إنه مفهوم الحقل كفيل بضرورة ربط المداخل المعجمية القائمة على الفهم الموحد.

الدلالة التأويلية:

إن اللغة هي نسق من المفردات والقواعد التي يشترك فيها متكلموا تلك اللغة، وهذه المفردات تشكل مداخلًا معجمية، وقد يتبين المتكلم بوضوح بعض هذه القواعد عندما ينتج جملاً صحيحة تحمل معنى لان هدف النحو التوليدي هو بناء نظرية قادرة على التمييز بين المتواليات الكلامية (الجملة) النحوية واللاحنة. وسنقتصر في هذا المقال على نموذج فريد طالما دافع على كشف النسق الذي يحدد البنيات اللغوية النحوية. ألا وهو نموذج تشو مسكي

وضع تشو مسكي في كتابه *البنيات اللغوية (structure syntaxique)* نموذجاً نحويًا يفترض أن ملكة اللغة عند البشر مستمدة من النحو الذي يستنبطونه، الذي يسمح لهم بإنتاج الجملة الجيدة التي يكلمونها ويلغي غيرها، ولعل مشكل الانحراف الدلالي (La Déviance) المتعلق بالمفهوم النحوية ظل يواجه التصور التوليدي ولننظر إلى المتواليات الآتية:

(1) شيد البيت زيداً

(2) شيد زيد البيت

(3) شيد من زيد

نلاحظ أن الجملة الأولى ليس عربية لأنها تخرق قاعدة انتقائية، إلا أن الجملة الثانية توافق القاعدة الانتقائية بين الفعل والفاعل والمفعول به كما نلاحظ أن الجملة الثالثة غير نحوية كذلك.

وفي هذا المجال أشار الزمخشري في كتابه *المفصل* يوافق كلام تشو مسكي إذ يقول: "غير أننا إذا نظرنا في الجملة التي تتألف من مسند ومسند إليه وجدناها واضحة المعاني بينة الدلالة وذلك في مثل قام زيد، وزيد قام وضرب اللص فهناك عنصر الإسناد الذي يعد بمثابة الرابط المعنوي بين المسند والمسند إليه..."⁶ أقترح تشو مسكي إقامة سلمية تضم عدداً من المستويات المقولية ترتب المكونات على شكل طبقات.

المستوى الأول ط¹، ط¹، ط¹ (طبقة الألفاظ)

المستوى الثاني ط¹، ط²، ط³ (فصل، اسم، اسم)

المستوى الثالث ط³، ط³، ط³ (فصل، اسم، اسم)

ولدينا قاعدة نحوية مرتبطة بالسياق تشير إلى أن الفعل (د) وليكن الفعل (أحب) لا يظهر إلا مع فاعل

حي، ولهذا لن يولد النحو المتوالية الآتية (- يحب الفقر للعب)

فهذه الجملة على شكل (فعل + اسم + اسم) ولكن النحو لن يولد إلا مجالاً من نوع (يحب زيد للعب)

التي تحترم المستوى الأول والمستوى الثاني والمستوى الثالث أما (يحب الفقر للعب) فتحترم على المستوى الأول والثاني فقط ولا تستجيب للمستوى الثالث.

ومن هنا يتضح أن المستويين الثاني والثالث هما اللذان يسمحان بمعرفة سبب لحن جملة معينة ودرجة لحنها والمستوى الثاني مقولي أما المستوى الثالث انتقائي والمستوى الأول لا يتيح التمييز بين المتوالية النحوية والمتوالية غير نحوية.

يذهب كاتز إلى أن: "هناك بعض الجمل المنحرفة قليلا قد تكون جمل غير مفهومة عند المتكلمين في حين أن جملا أخرى تنحرف بدرجة أكبر تكون مفهومة"⁷ مثل:

1- أكلت الحربة ورقاً

2- خدوم زيد يقوم إلى عمل

يمثل الجملة (1) على المستوى الثاني وهذه الجملة تخرق قيودا انتقائيا بين الفعل وفاعله الذي يجب أن يكون (حيا) وبين الفعل ومفعوله الذي ينبغي أن يكون قابلا للأكل فالخرق تم في المستوى الثالث على عكس الجملة الأولى يمثل للجملة الثانية على المستوى الأول فقط، وهو مستوى الألفاظ والخرق في هذه الجملة يتم في المستوى الثاني، ورغم أنه النحو سيلغي الجملة الأولى في المستوى الثالث والجملة الثانية في المستوى الثاني فإن الجملة الثانية مفهومة أما الأولى فلا ومن هنا يمكن أن نشير أن الدرجات النحوية عند تشو مسكي لا تعكس قدرة المتكلم لأن عملية إنتاج الجمل عند المتكلم تختلف عن فهمه إياها وإعطائها تأويلا مناسباً.

خاتمة

شغلت قضية المعنى اهتماما كثير من الفلاسفة واللغويين والمفكرين وراحت تدور حول ثلاث مكونات هي: اللغة والمتكلم والعالم الخارجي، وقد كانت النظرية التوليدية -بوصفها مقارنة نفسية- أداة فاعلة في تحديد المعنى كما كانت النظرية التأويلية بمثابة الجسر بين بنيات تركيبية والتأويلات الدلالية، وكان للساني نوع تشو مسكي الدور الأهم من خلال نماذج كثيرة- لم يتسع المقام لحصرها- في إرساء قواعد النحوية من أجل تمييز المتواليات النحوية عن سواها اللاحنة.

الإحالات

¹ HIRSCH Eric Donald, *Validity In Interpretation* (VAL) Newhaven: Yale University Press.1967 p23
² تشو مسكي ن ، اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة حمزة المزيني، دار توبقال للنشر، 1990، ص 63

³ MARTINET (A.) 1974. *Éléments de linguistique générale*. Paris: A. Colin (rééd.), [1ère éd. 1960].

⁴ FILLMORE,C. *frames and the semantics of understanding*. Ms Umiversity of California. Brekel,1984. p.106

⁵ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، كلية دار العلوم جامعة القاهرة، دار عالم الكتب، ط5 سنة 1988، ص11.

⁶ الزمخشري، المفصل في علم العربية، دار الجيل، بيروت ، دط - دت، ص 24.

⁷ katz.J.I-Semi-Sentences In Fodor De Katz (Eds): *The Structure Of Language: Reading The Philosophy Of Language*, Englewood Eliffs N.J. Prentice- Hall -Inc-1964, p69.